الحضارة الإسلامية مفهومها وعناصرها

*الدكتورمحمد طاهر حكيم

Abstract

Islamic Culture Meaning & Elements

There are several definitions of culture for example will Durant in his work says that culture is the name of collective system which helps in the development of civilization. It is composed of four elements.

1. *Financial Realities*
2. *Political System*
3. *Moral Values*
4. *Expertise in knowledge Art & Craft*

Its initiation is there where restlessness and uneasiness finishes.

Islamic culture means that system wherein all Islamic values are present. There are three essential elements.

1. *Metaphysical Elements such as belief, morality & knowledge.*
2. *Physical elements such as Agriculture, Industry, technology, trade and social elements.*
3. *Administration and Legal elements such as political and government system, social administration and family system.*

إنه لا يمكن لأية أمة أن تواجه حاضرها الفكري والثقافي ما لم ترتفع بفهمها إلى حقيقة ماضيها الحضاري، وتراثها الثقافي وذلك من أجل الوعي بالأسس والمقومات التي تقوم عليها الحضارات في المسيرة الإنسانية .

والإنسان المسلم اليوم ـ وفي ظل رياح التغيير الثقافي والحضاري، ومن خلال المعترك الفكري الدائر بين المذاهب المختلفة ـ عليه أن يعي أن مطامحه صوب إحراز معركة المستقبل، والتطور الحقيقي لمجتمعه، لا بد أن يتم خلال إطاره الخاص وفق أخلاقيات وقيم حضارته الإسلامية والدور الرائد الذي لعبته التجربة الإسلامية في التأريخ الحضاري للإنسانية، وبذلك يكون التطوري الحضاري منبثقا عن الذات وليس من خارجها تطورا يعبر عن الهوية الحقيقية للأمة الإسلامية بعقيدتها وأخلاقياتها [1] .

ونظرًا لأن الساحة الفكرية تحشد كثيرا من الأبحاث والمؤلفات المختلفة، المتعلقة بالنظريات الغربية والشرقية للحضارة ،فإن الحاجة تدعوا إلى استجلاء المفهوم الدقيق ـ إذا أمكن ـ لهذه الكلمة (الحضارة)، وكذا لكلمة(المدنية) التي يستخدمها البعض على أنها كلمة مترادفة للحضارة .

وتزداد هذه الحاجة أهمية بالنظر إلى أن التجربة التاريخية لكل مجتمع حضاري تلعب دورا كبيرا في صياغة حاضره وتطلعه نحو المستقبل، الذي يجب أن يسير إليه وفق القيم الدينية والفكرية التي تنبثق عن ذاتيته الحضارية .

* أستاذ مشارك ورئيس قسم الشريعة،الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد.

ونظرا لأن هناك جهودا ومحاولات من قبل النخبة الإسلامية في إحياء المشروع الحضاري الإسلامي، فإن الحاجة تدعوا أيضا لبيان حقيقة الحضارة الإسلامية والأسس التي قامت عليها، لأن البحث عن المستقبل الأفضل لن يتحقق إلا باستجلاء الماضي الحضاري للأمة الإسلامية . هذا الماضي الذي يمثل تيارًا متدفقا يصُب دائما في الحاضر ويرفده بكل مكوناته الأساسية، ويدفعه نحو المستقبل، إذا فإن عناصر الموضوع تنحضر في تعريف الحضارة من حيث هي، ثم تعريف المدنية وما بينها وبين الحضارة من عناصر الخلاف، وأخيرا تعريف الحضارة الإسلامية وعناصرها المهمة.

مفهوم الحضارة:

إن المفهوم الأصلي لكلمة الحضارة في اللغة العربية أنها تعني : الإقامة في الحضر وعكسها البداوة، وهي حياة التنقل في البادية، وبهذا المعني استعملها القطائي الشاعر في قوله، مفتخرا ببداوة قومه، مستخفا بساكني القرى والمدن .

فمن تكن الحضارة أعجبته

فأي رجال بادية ترانا ؟

والمدينة مشتقة من مدن المدائن أي بناها ومصرها، يقال: مدن بالمقام أي قام به : وتمدن أي تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة [(2)] .

ولقد عرف الناس الفرق بين حياة الحضر وحياة البادية منذ كانت بادية ومنذ كان حضر، ولكن هذه الكلمة، كلمة "الحضارة" لم تكن شائعة في استعمالات اللغة طيلة القرون التي أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية، ويكاد العلامة ابن خلدون هو أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته على أساس من الدراسة الواعية والتحليل العلمي، ثم فرضت هذه الكلمة نفسها بتصريفاتها المختلفة في القرن الأخير، لاسيما بعد الاحتكاك الثقافي الشامل بين الشرق والغرب، فما هي الحضارة ؟ و ما هي المدنية ؟

الحقيقة إن كلمة الحضارة واسعة الدلالة شديدة التعقيد، يخلط كثير من الناس حتى المتخصصين منهم بينها وبين المدينة، وهو خلط يؤدي إلى سوء الفهم واختلاط المعاني، والفوضى الشاملة في استخدام المصطلحات , وإذا علمنا أن الكلام على الحضارة يتشعب في كتب التأريخ والاجتماع والفلسفة والآداب والعلوم ...وإذا أضفنا إلى ذلك أن عالمي الانتروبولوجي (علم الإنسان)الفريد كروبروكلايد كلوكهون كانا قد أحصيا سنة 1952م ما يزيد عن (164) تعريفا لـ (الحضارة)في اللغات التي نشأت دلالة المصطلح وتطورت فيها، اتضح لنا حجم الاختلاف في تحديد مفهوم هذا المصطلح.

وإذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة في وقته وبيئته على (أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة في القرى والأمصار والتي تضفى على أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية) إذا كان ابن خلدون قدبلور هذا المعنى التأريخي، فإن مفهوم الحضارة فيما بعد أخذ أبعادا أكثر إتساعا وأكثر تحديدا أيضا مما رآه ابن خلدون في عصره وبيئته كما ستفصل بعد قليل ..[(3)]

وأما المدنية فهي في عرف العلماء الاجتماعيين عبارة عن الحالة الراقية التي توجد عليها الأمم تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع[4]، أو هي الوسائل والأدوات المادية التي يستعين بها الإنسان على تحقيق حضارته، وهي العديد من الأشياء والأدوات المادية التي تعين الإنسان على التقدم في مضمار الحضارة [5]

أعود إلى تعريف ابن خلدون الذي قلت عنه بأنه أضيق من الحضارة بالمعنى الاصطلاحي الحديث (عند مجموعة من العلماء والباحثين) وإنما قلت : إنه أضيق لأنه لا يمثل إلا الجانب المترف من النشاط البشري ولا يدخل فيه النشاط الديني والخلقي والعقلي، يقول ابن خلدون (والحضارة ـ كما علمت ـ هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، ومن الصنائع المهنية للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش...الخ) .

والحضارة بهذا المعنى عنده أحد شطري العمران الذي قسمه إلى بدوي ومدني، ،وتصوره للحضارة بهذه الصورة ناتج عن تصوره لفضل البدو على الحضر وهذا المفهوم للحضارة إنما نشأ في بيئة عربية معينة كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البداوة، ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية إلا في جهات قليلة في بعض البيئات .

هذا ويرى (ول ديورانت) مؤلف (قصة الحضارة) بأن (الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي وتتألف من عناصر أربعة : الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون .وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء وبعدئذ لا تنفك الحواجزالطبيعية تستنهض للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها [6] .

وهناك تعريفات أخرى للحضارة لمجموعة من المفكرين الغربيين وغيرهم منها: (أنها النمو والتقدم التكنولوجي والصناعي والارتقاء العقلي وتنظيم الحياة وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض)

ومنها (أنها مجموع خبرات الحياة بالنسبة لكل فرد) [7]

وهذه التعاريف متقاربة كما يظهر ذلك بشئي من التأمل .

الفرق بين الحضارة والمدنية:

والحضارة بهذه التعاريف لا تختلف كثير عن تعريف المدنية ـ على حد فهمي ـ بيد أن هناك فريقا من المفكرين المعاصرين يفرق بين الحضارة والمدنية بتفريق واضح ، فهو يرى بأن الحضارة هي: (الثقافة والجانب الفكري لدى الأمة بينما المدنية هي الجانب المادي[8]، فالحضارة تمثل الديانات والأخلاق والآداب والفنون والفكر، بينما تمثل المدنية السياسية الاقتصاد والتكنولوجيا والقانون .فالفقه عنصر حضاري والقانون عنصر مدني، لأن الثقافة ترتبط بالتقويم والتكييف النوعي الخاص بالأمة بينما التمدن يتعلق بالمكان الذي ينشئ أحوالا خاصة. لهذا تصبح الثقافة تطورا في الذات والمدنية تطورا في الوسائل والمعدات والحضارة مجموعة من القيم، والمدنية جهلة من الابتكارات .

- والحضارة هي التأريخ والتراث والمعرفة، والمدنية هي السيارة والتلفزيون والثلاجة ... الخ

- والحضارة هي الدين والمثل العليا، والأفكار الخالدة، أما المدنية فهي الفنون السريعة `والبريق الزائف .

- والحضارة معنى إنساني مطلق ، وهي لا تُكتسب ولا تشترى ولا تصنع، أما المدنية فهي سلوك نسبي، ومن الممكن نقلها واقتناؤها و ربما شرائها أيضا .

- والحضارة لا تزول ولا تنسخ ولا تنقل من مكان إلى مكان، أما المدنية فهي متغيرة وسريعة، وكل يوم لها وطن .

- والحضارة هي الأصالة والمدنية هي المعاصرة .

وعدد الحضارات في الدنيا يعد على أصابع اليد الواحدة وكلها نبت الشرق ونتاج العالم القديم، أما المدنيات فهي بالعشرات وكلها من صنع العالم الجديد .

- وأعظم شعوب الدنيا هي الشعوب صاحبة الحضارة وأقلها قيمة هم باعة المدنية . وتقاس قيمة الأمم والشعوب بمقدارها إسهامها الحضاري فيقال :

إن للمسلمين مثلا حضارة فذة بسبب تراثهم الإنساني الشامل بكل ما فيها من قيم الدين والفكر والمعرفة، وبالمقابل يقول علماء التأريخ : إن أفقر الشعوب إسهاما وعطاء على أمد التأريخ هم اليهود لأنهم عاشوا وما زالو يعيشون على الخرافات، ولم يكن لهم يوما جغرافيا أو تأريخ أو تراث إنساني يذكر .

إذا : الحضارة باختصار شديد : هي الثقافة وهي الجانب الفكري لدى الأمة، والمدنية: هي الجانب المادي، على هذا فإن الإنسان المتحضر من الممكن أن يتطور وينمو في بضع سنين، أما غير صاحب الحضارة فمن الصعب عليه اكتساب مفردات العصر . والمتحضر يمكن أن يكون أهلا للتمدن . أما صاحب المدنية فمن الصعب أن يكون متحضرا[9] وكان برناردشو يقول : إن مأساة الشعب الأمريكي أنه انتقل من الهمجية إلى المدنية دون أن يمر بمرحلة الحضارة، ويقول (ول ديورانت)الأمريكي في كتابه : (مناهج الفلسفة)(وثقافتنا سطحية اليوم، ومعرفتنا خطرة لأننا أغنياء في الآلات، فقراء في الأغراض) .

إن المعيار الاقتصادي وحده لا يصلح مصنفا للمجتمعات إلى مجتمع متحضر ومجتمع متخلف كما نرى الغرب يقسم العالم مجموعتين بشريتين: متحضرة ومتخلفة . الأولى بلغت طورا بعيدا في التقدم، والأخرى ترسف في أغلال التخلف من غير وجود ضابط لهذ التصنيف، إلا المعيار الاقتصادي الذي لا يصلح لتفسير الظواهر الاجتماعية، فكيف تكون الأولى متحضرة مع ما فيها من صفات التخلف كالتفكك الأسري وارتفاع معدلات الجريمة، وتفشي الإنحلال الخلقي وانتشار النمط الاستهلاكي وما إلى ذلك من الظواهر السلبية، وفي الوقت نفسه فإن هناك مزايا حضارية تتسم بها المجموعة الثانية لا سيما في البلاد التي تتمسك بقيمها الدينية والأخلاقية كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية، والعجيب أن هناك من الغربيين من يرى تلك المزايا الحضارية سببا من أسباب التخلف الشرق إذ يقول : (كونيدك ومينه) (إذا الشرق لم يستطع التخلص من من حال السكون والجمود فإن ذلك يعود

إلى هذه الأديان التي تعارض التطور والتغير) [10] وهذا كذب فإن الإسلام يدعو إلى الحضارة والتقدم، بل هو دين الحضارة . لكن حضارة البشر في الإسلام لا تقاس بالتقدم المادي الصناعي العلمي إلا بقدر ما يخدم هذا العلم وهذه الصناعة الإنسانية، وعليه فإذا كانت هذه الصناعة، وهذ العلم من شأنه أن يهدم البشرية أو يلحق أضرارا بها فإنه ليس من الحضارة في شيئ وإنما عامل إفساد ودمار .

وثمة فريق أخر من العلماء يرى أن الحضارة هي جماع الثقافة والمدنية . أو يقول : هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمعنوية[11].

أو يقول (هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضوفي مجتمع[12]

أو يقول : إن الحضارة لها جانبان جانب معنوي : ويتمثل في المعتقدات والقيم والأخلاق والضوابط الدينية والمبادئ والأطر الفكرية والرؤية العامة للكون والحياة والإنسان والتأريخ والعلاقات بين البشر .

وجانب مادي: ويتمثل في المستوى العلمي التجريبي ومستوى التقنية والمستويات الاقتصادية المادية لأبناء المجتمع . والحضارة هي محصلة تفاعل بين هذين الجانبين أو العاملين : الأول يتصل بالقيم والمبادئ والعقائد والنماذج السلوكية والفكرية التي تحدد ما هو مرغوب فيه وما هو متسامح فيه وما هو مرغوب عنه وبين الواقع المادي بمغرياته المادية وما فيه من أدوات وأجهزة التي هي وسائل إشباع الحاجات الانسانية المتزايدة والمتغيرة [13] فهؤلاء جعلوا المدينة جزءا من الحضاره على أساس أنها الأثر أو النتيجة الحتمية للحضارة أونتاجها أو بعض مظاهرها وثمارها ـ كما يقول المودودي ـ رحمه الله ـ وهذا أقرب .

تعريف الحضارة الإسلامية:

إذا كان لكل حضارة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتستمد كل مقوماتها وعناصر وجودها وأسباب نمائها وازدهارها . وأن تلك الهوية المميزة لكل حضارة هي التي تسيطر عليها وتوجه جميع نتاجها من فكر وأدب وعلم وفن . فإن الوعي بالذاتية الحضارية الإسلامية وبجوهرها، هو ا لمكون الحقيقي لشخصية الحضارية الإسلامية والمقوم الأساسي للكيان الإجتماع الإسلامي وأن كل دراسة حول المفهوم الإسلامي للحضارة لا تأخذ هذا الفهم في الاعتبار تكون قد تجاهلت المكون الحقيقي للبنية الحضارية في الإسلام، فما هو جوهر الحضارة الإسلامية أو ما هو المحور التي تمحورت حوله هذه الحضارة حيث ميزها عن غيرها من الحضارات السابقة واللاحقة في آنٍ معا؟

لقد تميزت الحضارة الإسلامية ـ وكان لابد لها أن تتميز ـ ذلك أنها انطلقت وصارت واستهدفت غاية لها قيمتها هي الإيمان بالله تعالى، فهي حضارة إيمانية توحيدية وأنه يستحيل تفسير أو تحليل المفهوم الإسلامي للحضارة في ظل غياب العامل الإيماني وأهميته لما ذكرناه آنفا [14]

والأصول والأسس التي تقوم عليها هذه الحضارة ثابتة لأنها مقومات هذه الحضارة، وهي: (العبودية لله وحده والتجمع على آصرة العقيدة واستعلاء إنسانية الإنسان على المادة وسياد القيم الإنسانية التي تنمي إنسانية الإنسيان ـ لا حيوانيته ـ وحرمة الأسرة، والخلافة في الأرض على عهد الله وشرطه وتحكيم منهج الله وشريعته وحدها في شؤون هذه الخلافة[15]. والمجتمع المتحضر هو الذي تكون فيه الحاكمية العليا لله . وتكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا، وتكون الخصائص الإنسانية فيه مثل الحرية والكرامة والتسامح والعدل والمساواة هي موضع التكريم والإعتبار، ثم يتعرف بعد ذلك إلى النواميس الكونية التي أودعها الله في هذا الكون المادي ويستخدمها في ترقية الحياة، وفي استنباط خامات الارض وأرزاقها وأقواتها ويفجر ينابيع الرزق، ويصنع الخامة ويقيم الصناعات المتنوعة ويستخدم ما تتيحه له كل الخبرات الفنية التي حصل عليها، يومئذ يكون هذا الإنسان كامل الحضارة، ويكون هذا المجتمع قد بلغ قمة الحضارة[16]

إذا الحضارة الإسلامية هي التي توافرت فيها القيم الإسلامية وليست هي كل تقدم صناعي أو اقتصادي أو علمي مع تخلف القيم والتنكر للدين، فهناك مجتمعات ربما نجحت في حل مشكلات الانتاج ولكنها لم تستطع حتى اليوم أن تحل مشكلة الإنسان، فالتدين فطرة في البشر، وبذلك أصبحت الحضارة الغربية أو المدنية الغربية ـ على وجه الدقة ـ تعيش أزمة واضحة، لأنها أهملت البعد الديني والأخلاقي يقول (الكسيس كارل) : إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لاتلائمنا، لقد أنشأت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، إذ أنها تولدت من خيالات الإكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها انشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا) ثم يشخص أزمتها قائلا (يجب أن يكون الإنسان مقياسا لكل شيء ولكن الواقع هو عكس ذلك فهو غريب في العالم الذي ابتدعه إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ....ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هي إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية... فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لأننا ننحط أخلاقيا وعقليا...)[17] ا هـ

عناصر الحضارة الإسلامية:

أما عناصر الحضارة الإسلامية فيمكن إجمالها في ثلاثة أنواع :

1- العناصر المعنوية: وتشمل العناصر الاعتقادية والروحية والأخلاقية والعلمية والأدبية .

2- العناصر المادية: وتشمل التقدم الزراعي والصناعي والتكنولوجي والعمراني والتجاري .

3- العناصر التنظيمية والتشريعية التي تنظم حياة المجتمع تنظيما مرتبطا بجميع جوانب الحضارة، وتشمل نظام الدولة السياسي ونظام الأسرة ونظام المجتمع[18].

وينبغي أن نتعرف على هذه العناصر من جوانبها المختلفة بشيء من التفصيل في الفقرات الآتية:

1- الإيمان بالله وتحقيق التقوى: وذلك لأن الإيمان بالله سبحانه هو العامل الأساسي في الاستخلاف وعمارة الحياة، بينما تقوى الله تفضي إلى الأعمال الجليلة والأخلاق الحسنة والعلاقات الطيبة بين الناس، وبالتالي لا يقتصر دور هذا المبدأ الإيماني على تزكية الروح وتنقية العقيدة وتصحيح العبادة، بل يتعداه إلى العناية بالسلوك وأعمال الجوارح.

2- الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة: العناية بالأخلاق الفاضلة والقيم المعنوية السامية في كل المجالات والجوانب، تفضي إلى سلوك رشيد وعلاقات طيبة بين البشر.

3- التسامح: وذلك من أجل مجتمع يسوده الاستقرار والسلام والتعاون والتكافل بكافة أعراقهم ومعتقداتهم، وتفهم الأخرين واحترام خياراتهم العقدية والثقافية.

4- الوسطية المتمثلة في الخيرية واليُسر ورفع الجرح، والعفو بوصفها منهجا شرعيا وسياحا قويا ضد الوقوع في براثن الغلو والافراط. وذلك تحقيقا للتوازن بين الثابت والمتغير، والمقاصد والوسائل، والكل والجزئي، ومتطلبات الروح والمادة، والربط المنضبط بين النصوص والمصالح المعتبرة قال تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطا".

5- الشمول والسعة: الفهم الشمولي للإسلام وعدم التركيز على جانب دون آخر بوصفه منهج حياة، فهو عقيدة وعبادة، وأخلاق ومعاملة، وتشريع وقانون وتربية وتعليم، ودولة ونظام، يتناول مظاهر الحياة كلها.

6- التعليم الشامل الذي يجمع بين معارف الوحي وعلوم العصر بوصفه المرتكز الأساسي لنهضة الأمة، والوسيلة التي يستعان بها على عمارة الأرض وتسخير ما فيها، وترقية الحياة، والانتفاع بالطيبات من الرزق.

7- التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة: أي التنمية بكامل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية وتجعل صلاح الإنسان غاية وهدفا لها.

8- الإدارة الجيدة: التي تحسن إدارة الموارد البشرية والمادية وتوظيف الاستخدام الأمثل لها.

9- قوة الشخصية: من حيث الإخلاص والأمانة، فالإخلاص أساس الأعمال، والأمانة عماد المجتمع والدولة، وبغيرهما لا يمكن إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح، وهي أخلاق تقوم عليها الحضارات وبغيابها تزول وتغرب.

10- الحكومة العادلة والأمنية: التي تأتي عن طريق الشورى والاختيار الحر دون قهر أو إكراه، وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين، وترد

الحقوق إلى أهلها، وترعى مصالح الأفراد على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم، كما تقوم على قضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

11- حرية واستقلال الشعب وعدم التبعية للأجنبي: إن الحرية هي القيمة الكبرى في الحياة الإنسانية، وهي الحافز للعمل والإبداع، وبها يكون الإنسان مستقلا وحرا في قراراته، وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية للأجنبي في الفكر والثقافة والاقتصاد والسياسية إلخ.

12- حفظ حقوق الاقليات والمرأة: وذلك برعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية، وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الإيجابي في المجتمع.

13- تعزيز المؤسسة الأسرية: بوصفها اللبنة الأساسية في المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع وتترابط علاقاته وتتوحد مشاعره.

14- حفظ وحماية البيئة: العمل على حماية البيئة والحفاظ عليها ومنع ما يهددها في عوامل التلوث والآفات.

15- تقوية القدرات الدفاعية للأمة: وذلك للحفاظ على سلامة ووحدة أراضي الدولة وحماية المصالح العليا لشعوبها، والمحافظة على استقلالها وسيادتها[19].

هذه هي أهم عناصر الحضارة الإسلامية التي إذا تحققت عاش المجتمع في أمن وسلام ورخاء ورفاهية وازدهار وتقدم.

ثم إن الحضارة الإسلامية يمكن أن تتخذ أشكالا متنوعة في تركيبها المادي والتشكيلي (مع ثوابت أصولها وقيمها) وذلك لأن أشكالها تتأثر بدرجة التقدم الصناعي والاقتصادي والعلمي لأنها تستخدم الموجود منها فعلا في كل بيئة، ومن ثم لابد أن تختلف أشكالها لتضمن المرونة الكافية لدخول كافة البيئات والمستويات في الإطار الإسلامي، والتكيف بالقيم والمقومات الإسلامية، لقد كان الإسلام ينشئ الحضارة في أواسط أفريقيا بين العراة ....لأنه بمجرد وجوده هناك تكتسي الأجسام العارية ويدخل الناس في حضارة اللباس التي يتضمنها التوجيه الإسلامي المباشر، ويبدأ الناس في الخروج كذلك من الخمول البليد إلى نشاط العمل الموجه لاستغلال كنوز الكون المادي ويخرجون من طور القبيلة إلى طور الأمة، وينتقلون من عبادة غير الله إلى عبادة الله رب العالمين . إنها حضارة هذه البيئة التي تعتمد على إمكانياتها القائمة، وهكذا حين يدخل الإسلام في بيئة أخرى فإنه ينشئ شكلا آخر من أشكال الحضارة يستخدم فيها موجودات هذه البيئة وإمكانيتها الفعلية وينميها[20] .

هذه هي الحضارة التي أشأها المسلمون وأقاموها حقيقة واقعية على الأرض قرونا، وتأسست على إنجازاتها الحضارة الغربية المعاصرة وشهد بذلك المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخين تقول الدكتورة الألمانية سيجريد هونكة :(إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية و إن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا) ويقول شافت (لا يكاد يوجد شئ من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بأخرى [21].

إذا كانت هذه حضارتنا فيجب أن نتخذ من مبادئها ومفاهيمها ميدانا للدراسة والاختبار، بوصفها حقيقة أدت دورا ها ما في تأريخ الحضارات، ورؤية متكاملة لمواجهة الأزمات،

لنستخلص منها القيم والقوانين التي لا تستقيم أية برامج للحاضر والمستقبل إلا على هدي مسيرتها، وذلك لاستجلاء عوامل المد في عصور الازدهار، لإدراك عوامل الجزر في أزمنة التحديات، وأيضا لنستثمر رصيدنا الحضاري في بناء المدنية، و نواجه هذا التحدي ونطرق أبواب العصر وندخل إلى القرن الجديد وقد جمعنا بين الحضارة والمدنية والدين والحياة، والمعرفة والعلم، والقديم و الجديد، والأصالة والمعاصرة، فنصبح شهودا على عصرنا كما كنا شهودا على أعقاب طويلة من صحائف التاريخ، ويجب أن لا ننسى أن أعظم الشعوب هي التي تجمع بين الحضارة والمدنية . و أن تقدمنا حضاريا وعلميا رهين بعودتنا الحقيقية إلى الإسلام فهما وتطبيقا وعرضا على الناس بلغة العصر و أسلوبه .

وإذا كنا نجد الآن في أمة الإسلام تخلفا اجتماعيا وتقهقرا اقتصاديا وتمزقا سياسيا ـ بعد تلك الحضارة العظيمة التي أسهمت إسهاما كبيرا في التقدم العلمي والمعرفي والاجتماعي والقانوني والفكري والسياسي.. وأسهمت إسهاما مهما في تحقيق الطمأنينة والسلام والأمن وإقامة المجتمع الفاضل وإسعاد البشرية ونهضتها وتقدمها ورفاهيتها وازدهارها ـ فإن سبب ذلك هو الجمود والانعزالية والتخلف العلمي وعزل الإسلام عن الحياة العامة.

ولن يعود مجد الإسلام وحضارته إلا بالعلم والمعرفة وتحقيق عناصر التقدم والتحضر والثقة بالنفس ودفن العجز واليأس والقنوط والعزم على التغيير "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".

الهوامش

1 - سليمان الخطيب ، اسس ومفهوم الحضارة ص 2، 7 الزهراء للإعلام العربي 1406هـ.

2 - انظر لسان العرب مادة (ح ض ر) و (م د ن) وانظر أيضا الإسلام والتحدي الحضاري لمجموعة من الكتاب ص 131.

3 - قال الدكتور محمود محمد سفر: (الحضارة في مفهومها العام) هي سلوك ونظام وقيم ومعان وأسس ومبادئ ومنظومات وطبيعة وحياة يزخر بها مجتمع ما ، وتسيطر على مجريات الأحداث فيه يدعمها ويحافظ على بقائها عمل متصل ، وفعالية عالية مرتفعة، يسهم فيها كل إنسان قادر مؤهل بقدر طاقته وتأهيله ، وتبقى الحضارة والرقى ما بقي العمل المتصل والعطاء المتجدد والفعالية المرتفعة ، فيتطور الفكر ويتفاعل وتبرز المخترعات ،وتتطور الاكتشافات لتنتج أدوات تلك الحضارة ومنجزاتها) دراسة في البناء الضاري ، منشور ضمن سلسلة كتاب الأمة ، قطر 1409هـ ص 25ـ 26.

4 - خالد أبو الفتوح مقال منشور في مجلة البيان العدد 146ص 128.

5 - د. محمد حسين حسين ـ الاسلام والحضارة الغربية، المكتب الإسلامي للنشر 1979م. ص 6،وانظر أيضا الإسلام والتحدي الحضاري ص 131 .

6 - انظر ول ديورانت قصة الحضارة انظر موقع www.montada.com 4\1

7 - سليمان الخطيب : أسس ومفهوم الحضارة ص 28وما بعدها .

8 - محمد الحسناوي (في الأدب والحضارة) قصة الحضارة، المكتب الإسلامي 1405هـ ص 8ـ 9.

9 - الإستاد محمد البركات ، الفرق بين الحضارة المدنية. مقال منشور في جريدة المدينة المنورة . والدكتور أنور ماجد عشقي ، الشريعة الإسلامية وتكوينها الحضاري ، بحث منشور في مجلة (إقرأ) العدد (986)ص 14.

10 - انظر الدكتورزيد الحسين ، اطلالة مجلة "الفيصل" العدد 238.

11 -أنظر الدكتور سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، دمشق 1992م ص 9 والدكتور أحمد القديدي، نحو مشروع حضاري إسلامي نشر: رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة 1417هـ ص 122.

12 - الدكتور أحمد إبراهيم السائح أضواء على الحضارة الإسلامية ص 18، والدكتور نبيل السما لوطي، التنمية بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي، جريد ة الشر ق الأوسط العدد 5818.

13 - هذا قول (ادوارد تالدر) انظر مقال: الحضارة لخالد أبو الفتوح مجلة البيان العدد(146) ص130.

14 - انظر سليمان الخطيب : أسس ومفهوم الحضارة في الإسلام ص119والدكتورة فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر 1407هـ ص 20

15 - الشهيد سيد قطب ، معالم في الطريق دار الشروق ص 120.

16 - المرجع السابق ص 115.

17 - الكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ص 119نقلا عن الإسلام هو الحضارة ص120.

18 - أصول التربية الإسلامية لمجموعة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعودالإسلامية بالرياض، طبع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص71.

19 - انظر: داتوسري: عبد الله أحمد بدوي رئيس وزراء ماليزيا، الإسلام الحضاري، المنشور على موقع: www.islamonline.net/servlet

20 - سيد قطب، معالم في الطريق ص 120ـ 121.

21 - سليمان الخطيب أسس ومفهوم الحضارة في الإسلام ص 305.

المراجع

1ـ أسس ومفهو م الحضارة في الإسلام لسليمان الخطيب، الزهراء للإعلام العربي 1406هـ.

2ـ الإسلام والتحدي الحضاري، لمجموعة من الكتاب .

3ـ دراسة البناء الحضاري د.محمود محمد مسفر كتاب الأمة قطر 1409هـ .

4 ـ الإسلام والحضارة الغربية د.محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي للنشر 1979م.

5 ــ قضة الحضارة (ول ديورانت) انظر موقع www.montada.com.
6ــ في الأدب والحضارة، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي 1405هــ .
7ــ منهج الحضارة الإسلامية في القرآن د. سعيد رمضان البوطي دار الفكر، دمشق 1992م.
8ــ تأريخ النظم والحضارة الإسلامية للدكتورة فتحية النبراوي ، الدار السعودية للنشر.1407
9- معالم في الطريق لسيد قطب ، دار الشروق .
11ــ أصول التربية الإسلامية لمجموعة من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
12ــ نحو مشروع حضاري إسلامي د. أحمد القديدي نشر رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق 1417هــ .

الدوريات

1ــ مجلة البيان العدد 146 شوال 1420هــ .
2ــ جريدة المدينة المنورة .
3ـ مجلة إقراء العدد 986.
4ـ مجلة الفيصل العدد 238.